مستقبل الخوف

أحمد دعدوش

مكتبة الأسرة العربية
اسطنبول
نحو أسرة عربية واعية ..
ARAP AİLE KÜTÜPHANESİ - ISTANBUL

السبيل

مستقبل الخوف

MUSTAKBAL

ALHAUF

AHMET DADOUŞ

1. Baskı: İstanbul
2021 - 1442

مستقبل الخوف

أحمد دعدوش

السبيل

من إصدارات مؤسسة السبيل

مكتبة الأسرة العربية اسطنبول
نحو أسرة عربية واعية ..
ARAP AİLE KÜTÜPHANESİ - ISTANBUL

مستقبل الخوف

تأليف: أحمد دعدوش

القياس: 17 X 24 سم

عدد الصفحات : 368 ص

ISBN: 978-605-7618-58-0

الطبعة الأولى

١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م

جَمِيعُ الْحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

السبيل

من إصدارات مؤسسة السبيل

www.al-sabeel.net

دار المازري

تونس

دار الإمام المازري الموزع المعتمد في المغرب العربي

12 نهج السبخة - باب الجزيرة تونس - 1000

00216.25.953.466 www.mazribookstore.tn

مكتبة الأسرة العربية اسطنبول

نحو أسرة عربية واعية..

ARAP AİLE KÜTÜPHANESİ - ISTANBUL

طباعة ونشر وتوزيع

إصدارات مُختارة للأسرة العربية

www.arabfamilybs.com

+90 212 631 81 09 - +90 531 935 71 31

info@arabfamilybs.com

UFUK neşriyat

BASIN-YAYIN-DAĞITIM

Sertifika No: 35657

UFUK NEŞRİYATIN® TÜRKİYE BASIM YAYIN MESLEK BİRLİĞİ ÜYESİDİR.

Baskı Cilt: Enes Basın Matbaacılık Ltd. Şti. Litros Yolu Fatih San. Sit. No: 12/210 - Topkapı / İstanbul

الفهرس

الإهداء 8

المقدمة 9

الفصل الأول: وباء كورونا.. الخوف المباغت 12

التكيف والمرونة 15

جدل المؤامرة 17

الوجه الآخر للحضارة 24

العولمة على المحك 28

الرأسماليّة على المحك 33

الديمقراطية والحريّة على المحكّ 36

عودة إلى التاريخ 44

إفلاس العلمانيّة 48

الفصل الثاني: المدينة الفاضلة.. بين الخوف والحلم 58

الرأسمالية المتوحّشة 62

الماركسية ونهاية التاريخ 64

أحلام الشعراء والفلاسفة 66

من المزارع والغابات إلى الروبوتات 68

حلم «العولمة الفاضلة» 74

عولمة الهوية 77

العلمنة غطاء للشيطنة 80

المدينة غير الفاضلة 88

عود على بدء..... 94

الفصل الثالث: صناعة الخوف 97

تحطيم الإنسان وترويضه 97
الخنوع أولى من الحب!..... 103
الدولة-السجن 112
الغرب المتحضر 116
حروب أكثر حداثة 126
«الحرب على الإرهاب» 131
الشمولية الليبرالية 138
عندما يخاف الطاغية 148

الفصل الرابع: تجارة الخوف 156

حركة البقائيّة..... 157
حركة التخفّف..... 161
سوق التمرّد 163

الفصل الخامس: عولمة الخوف 165

سيارة لكزس أم شجرة الزيتون؟ 167
من ينتصر.. النسر أم التنين؟ 181
وحشية جديدة 189
نمل بين الأفيال..... 194

الفصل السادس: الخوف من الشيطان 201

آدم وإبليس..... 202
كيد إبليس..... 206

قدرات الشياطين 210
طموح الألوهيّة 220
الفصل السابع: الخوف من الدجال (أو آخر الزمان) 269
ابن صيّاد والجسّاسة 273
متى يخرج الدجال؟ 279
بين الخوف والأمل 288
الفصل الثامن: الخوف من الإسلام 293
أسطورة الاستبدال العظيم 298
الإرهاب الأبيض الجديد 304
دعم الإسلاميين «المعتدلين» 306
الخوف من المهاجرين 308
إحياء «الاستبدال العظيم» 311
الإسلاموفوبيا على الطريقة الهندوسية 316
«الإرهاب البوذي» 321
خوف الصين العظيم 328
خوف على المسلمين أم منهم؟ 332
أليس منكم رجل رشيد؟ 340
الفصل التاسع: الخوف من الموت وما بعده: 343
من يتحدى الموت؟! 344
ماذا أعددت لها؟ 352
كجناحي طائر 355
وأخيرًا.. قبل الوداع 359

الإهـــداء

إلى كل مسلم وصل إليه هذا الكتاب..

أرجوك، اقرأه كأنه كُتب خصّيصًا لك.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

لا أزعم أنّي باحث متعمّق في التاريخ، ولست أيضًا من المفكّرين المستقبليّين Futurists الذين تخصّصوا في استشراف المستقبل. لكنّ محاولة التأنّي للنظر في واقع اليوم، حيث يتسارع الزمن إلى درجةٍ يصعُب معها الإمساك بالحاضر، كانت كافية لدفعي إلى وضع هذا الكتاب على عَجَلٍ، بالعُجالة ذاتها التي تدور بها عجلة الزمن!

ربما بات البعض يتساءل حقًّا، أيهما أسرع: **انقداح الفكرة في الذهن، أم تشكّلها في الواقع؟**

على أبواب القرن الحادي والعشرين، ألّف **بيل غيتس** -الذي جعلت منه التكنولوجيا أغنى رجل في العالم- كتابًا بعنوان «**الأعمال بسرعة الفكر**» Business @ the speed of thought، وكان يقصد بذلك أن التكنولوجيا التي ساهم في تطويرها باتت قادرة على تنفيذ الأفكار بمجرّد الشروع فيها، فطرح في كتابه توقّعات مستقبليّة جريئة، تحقّق بعضها بالفعل، وما زالت أحلامٌ أخرى تتحقّق مع الانتشار الواسع لتطبيقات شبكة الإنترنت، واقتحام ثورة الاتصالات مجالات كثيرة.

لكن المستقبل لا يبدو ورديًّا دائمًا، لا سيما عندما لا تقتصر نظرتنا على منظور روّاد وادي السليكون، فقبل أن يكتب **غيتس** كتابه بثلاثة عقود، وضع عالِم المستقبليات الأمريكي **ألفن توفلر** كتابه ذائع الصيت «**صدمة المستقبل**»، وتحدّث فيه عن الحالة النفسيّة التي تشبه الصدمة لدى الأفراد والمجتمعات المعاصرة، جرّاء تعرّضها لتغييرات ضخمة في

أنماط العيش والثقافة والدين والسياسة، وذلك خلال فترات زمنيّة قصيرة للغاية. ولم تخلُ رؤية **توفلر** من «**الخوف**»، بالرغم من إصراره على التفاؤل والتبشير بقوة بلاده الصاعدة في نشر رؤيتها الخاصة للحضارة، لتكون نموذجًا للعولمة.

والآن، وبينما أكتب هذه السطور في المرحلة الانتقاليّة بين العقدين الأول والثاني من القرن الميلادي الحادي والعشرين، تبدو لي «**الصدمة**» أشدّ وقعًا، وآثارها أكثر عمقًا. ومع أن الكثير من عامة الناس قد طوّروا في أنفسهم بعض مهارات **اللامبالاة**، ليتجاوزوا ما يعترض حياتهم اليوميّة من دواعي الصدمة، لكن الخوف هو السائد حيثما نظرت، **والغموض** هو شعار كل مرحلة جديدة.

كنت مترددًا في البداية بشأن عنوان الكتاب، فكان الأقرب للذهن تسميته «**الخوف من المستقبل**»، غير أني لم أستسغ هذه الفجاجة، وآثرت تبديل الأدوار بين الخوف والمستقبل، ليصبح حديثنا عن «**مستقبل الخوف**»، مع أن مهمّة الكتابة تحت عنوان كهذا باتت أكثر صعوبة.

لن أطيل في الاستهلال، وسأحاول أيضًا ألا أسهب فيما يأتي من فصول الكتاب، وأكتفي بالقول وأنا أضع بين يديك -عزيزي القارئ- خلاصة قراءاتي وعصارة أفكاري: أرجو أن تضع كلماتي في موضعها الصحيح، فكتابي هذا ليس دراسة أكاديميّة لقراءة التاريخ واستشراف المستقبَل، ولا خارطةً طريق عمليّة لإرشادك في مستقبلٍ شعاره **الخوف**. فأنا لا أملك سوى التفكير والتحليل والتحذير، ولا أنسى التحلّي بروح الأمل، وأستأنس بالدعاء والتضرّع بين يدي المولى، عسى ألا تأسرنا ربقة الخوف.

ولا ينبغي أن أنسى في هذا المقام شكر كلّ من ساعد في إنضاج الكتاب وإخراجه، وأبدأ بالشيخ الدكتور **عبد السلام المجيدي** الذي أفادني بملاحظاته ومراجعاته، وكذلك العديد من الأصدقاء الذين استمتعت بمناقشة أفكاري معهم قبل وأثناء الكتابة، ومنهم الصديق والزميل **محمّد المختار ولد أحمد** الذي تتحوّل لقاءاتي به دائمًا إلى حلقات نقاشيّة

ثريّة، والشيخ **سالم القحطانيّ** الذي أثق بعلمه وأرتاح لتواضعه، والأستاذ **فراس مريش** الذي فتح عينيّ على معلومات ومصادر أجنبيّة مهمة باطلاعه الواسع، كما أشكر الصديق **عرابي عبد الحي عرابي** الذي تحمّل إلحاحي وإزعاجي له في متابعة مهامّ المراجعة والتدقيق، وأيضًا الفنان المبدع **أمجد بربور** الذي أكرمني بتصميم الغلاف.

* * * *

الفصل الأول
وباء كورونا.. الخوف المباغت

أكتب هذه السطور وأنا أحاول مقاومة الشعور بالخوف، فثمة ألف شخص تقريبًا يُعلَن كلّ يوم عن انضمامهم إلى قافلة المصابين بفيروس كورونا المستجد (كوفيد 19) في المدينة التي أعيش فيها منذ نحو عشر سنوات.

لدي تأشيرة للسفر تكاد صلاحيتها تنتهي، غير أن المطارات مُغلَقَةٌ، ولديّ بفضل الله وظيفة جيدة، لكن مكتبي انتقل بطريقةٍ لم تكن مُتَوَقَّعةً إلى غرفة نومي منذ شهرين، فيما أسمع قصصًا مؤلمة عن إفلاس البعض وفقدان وظائفهم، كما أن لديّ الرغبة في الخروج لترويض جسدي الذي يكاد يخسر ما جناه قبل شهرين من حمية قاسية، لكن قوانين العزل والحظر حوّلت منازلنا إلى سجون، ولا أحد يملك الجواب عن سؤال: **وماذا بعد؟**

التاريخ حافل بأمثلة لأوبئة كارثية مفزعة، فما نعيشه اليوم لا يكاد يقارَن -ولله الحمد- بتلك الأوبئة التي أفضت إلى إبادة جماعية، كما أني شهدت في كلّ عقدٍ تقريبًا من عمري قصة انتشار إحدى الفيروسات المرعبة، وقد اعتدت على ألّا أجزع طالما تنتهي القصة بسقوط سريع، كما هو حال مشاهير اللحظة وصائدي الفرص، فسرعان ما تختفي الأضواء ويذوي الفيروس (المشهور) في عالم النسيان؛ ولذا لم أخفِ تفاؤلي في بداية قصّة فيروس كورونا المستجد، التي ظهرت بدايةً في مدينة ووهان الصينية مطلع عام 2020، ولم أستبعد ما قيل عن احتمالات المؤامرة، فهناك من يشكّك في أن شركات الأدوية هي المستفيد الوحيد مع كل موجة فيروسية جديدة، حيث يتضح في نهايتها أن الأمر لم يكن يستحقّ الذعر، ولا شراء كل تلك الكميات من اللقاحات التي تفسد في مخازن الحكومات الغنيّة.

لكنّ الأمر بدا مختلفًا بالفعل هذه المرة، ولم تمضِ فترة طويلة حتى دبّ الذعر في قلوب العالم كله، وتوالت أنباء الانتشار السريع -المفضي إلى الموت- في إيران، ثم إيطاليا، وبقيّة دول أوروبا، مرورًا بالولايات المتحدة -التي أبدى رئيسها اليمينيّ المتطرّف دونالد ترمب الكثير من البرود في البداية- حتى أصبحت مركز الوباء العالمي، وصولًا إلى أمريكا الجنوبية، وخصوصًا البرازيل التي يحكمها رئيس يعتبره الإعلام نسخة لاتينية عن ترمب.

وبينما كان الجدل محتدمًا حول نشأة هذا الفيروس ومدى خطورته الفعليّة، سارعت الحكومات، واحدةً تلو الأخرى، إلى فرض إجراءات إغلاق وحظر غير مسبوقة.

وللمرة الأولى في التاريخ، اتفقت البشرية على أمر واحد، أو لنقل بعبارة أوضح: اشتركت الأمم الغنية والفقيرة، الظالمة والمظلومة، في المعاناة من محنة واحدة. ومع أن الغرب كان يتباهى بأنه تمكن من احتواء فيروسات أخرى مثل الإيدز وإيبولا، بينما سقطت في جحيمها الدول الفقيرة المنهوبة في أفريقيا، إلا أن البؤرة تركزت هذه المرة أساسًا في أوروبا وأمريكا، ولم يحوّل فيروس كورونا المستجد وجهته نحو الفقراء في الهند وأمريكا الجنوبية إلا بعدما كشَفَ عورات أوروبا، وأنهكها سياسيًّا واقتصاديًّا على نحو غير مسبوق.

في البداية، بدا ظاهرًا تململ «**الإنسان الحديث**» من إجباره على المكوث في البيت، وربما حُمل الأمر على محمل المزاح، حتى خرج العديد من عمداء المدن والقرى المنكوبة في إيطاليا وهم يصرخون على وسائل الإعلام الاجتماعي، مطالبين رعاياهم بالتحلي بالمسؤولية، حتى استدعت بعض السلطات قوات الشرطة، ثم الجيش، لإجبار الناس على البقاء في منازلهم.

لم يعد الأمر مضحكًا عندما توالت صور جثث المسنين، لا سيّما في دول متحضِّرة مثل إيطاليا، ثم إسبانيا. ولم يعد من المضحك أيضًا إعراب البعض على مواقع التواصل عن ضجرهم بعدما حُرموا من التسكّع في المقاهي والحدائق، فثقافة الاستهلاك التي تجعل من «الخروج» واللهو حقًّا من حقوق الإنسان باتت أيضا على المحكّ.

أصبحنا نتساءل للمرة الأولى منذ نحو قرن عن جدوى انتشار المطاعم والمقاهي في كل مكان، وكأن المرأة لم تعد متفرّغة لإعداد الطعام لأسرتها، أو ربما لم يعد «**إنسان الحداثة**» يرغب في الأكل والشرب إلا خارجًا، فنمط العيش Life Style الذي تسوّقه وسائل الإعلام يجعل من «**الخروج**» للتسوق وتناول الطعام وشرب القهوة، وربما الجعة، سلوكا يوميًّا مهمًّا. ولا أقول إن هذه العادات باتت من قبيل التباهي بالقدرة على الإنفاق، بل هي مفروضة على الطبقة الوسطى وما دونها دون نظر للوضع المادي، فهي من مظاهر الرفاه التي لا تكتمل الحياة في المدن العصريّة بدونها.

لذا بدا من المضحك المبكي في آنٍ معًا أن صراخ عمداء المدن الإيطالية كان بمثابة صرخة في وجه «**بلادة الإنسان الحديث**»، إذ رأينا على الشاشة عمدة يصرخ لأنّ رجلًا من رعاياه استنجد به لشراء طعام من نوع خاص لكلبه، وهو لا يباع إلا في متجر محدد، بينما فرضت الحكومة إغلاق كل الأسواق باستثناء عدد محدود جدا من متاجر المواد الغذائية الضرورية فقط.

أما الصور التي تدفقت لاحقًا عن المزارات السياحية في فلورنسا والبندقية وروما، فتلك قصّة أخرى. فمن كان يتخيّل أن تخلو الساحات والأزقة والكنائس والقصور التاريخية من آلاف الزوار اليوميّين لتصبح كمدن الأشباح؟ كيف عادت أجواء الحرب العالميّة الثانية بهذا الصمت الرهيب لتزرع الرعب في قلوبنا؟

ظل الإعلام منشغلًا طوال أسابيع برصد مشاهد السكون المخيف في كل مكان، حتى أصبحت الغزلان تتمشّى بأمانٍ في شوارع المدُنِ الكبرى حول العالم، بل زالت من أجواء تلك المدن غمامة الدخان الصناعيّ القاتل للمرة الأولى، وخلت السماوات من آلاف الطائرات، وبات الصمت سيد الموقف، حتى عادت للذاكرة مشاهد من أفلام هوليود التي تنبّأت بسيناريوهات «القيامة»، مع أنها كانت حتى وقت قريب جدًّا مجرد أفلام للتسلية.

التكيّف والمرونة

كان على العالم أن يتكيّف مع أنماط حياة جديدة في كل شيء تقريبًا، فانتقلت الدراسة والعمل إلى المنازل فجأة، ومُنِعت الاحتفالات والاجتماعات واللقاءات العائلية أو تم تضييقها بقوة القانون إلى أضيق الحدود، وأغلقت الأسواق والحدائق وكل المرافِق باستثناء الضروري منها وفي إطار قيود مشددة، وتوقف السفر تقريبًا لأول مرة منذ تشكل شبكات المواصلات المعقدة التي تحيط بالكوكب، وأصبحت وجوه الناس ملثمة في كل مكان، وتخلّوا عن المصافحة والتلامس، وصارت لافتات التذكير بالتباعد لمسافة مترين عن الآخرين أمرا شائعا، كما أصبحت عبوات تعقيم اليدين بالكحول أكثر انتشارا بكثير من مياه الشرب.

كنا نتوقع في الأيام الأولى أن يبقى عالم النخب معزولًا عن تلك العادات الجديدة، وفي مشهد مبكّر تناقلته وسائل الإعلام رفض أحد الوزراء مصافحة المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل بعدما صافحها كل أعضاء حكومتها، فاستقبلَت الأمر بابتسامة وسط ضحكات الحاضرين، ثم سرعان ما صار هذا عُرفًا دبلوماسيًّا، وأصبح من المألوف رؤية رؤساء الدول وهم يستقبلون نظراءهم بالأقنعة ودون مصافحة، كما باتت اجتماعات الأمم المتحدة ومباحثات المسؤولين تُدار بالفيديو عن بعد.

انتعشت في هذا الإغلاق العالمي التجارة الإلكترونية بينما أفلس الآخرون، وانطلق عمال التوصيل للعمل على مدار الساعة بالتزامن مع فقد ملايين الموظفين والعمال وظائفهم. وصار التعامل مع قطاعات واسعة من الخدمات عبر الإنترنت وخدمات التوصيل جزءا من الحياة اليومية.

الكثير مما كان مستحيلًا أو مستبعدًا أو خياليًّا أصبحَ واقعًا خلال أسابيع، وكل سلوك طارئ أصبح يستدعي استنفارًا رسميًّا وشعبيًّا ومرونة لتقبّل الأفكار الجديدة، ثم انصياعًا تامًّا مع الشروع في التنفيذ.

أثبت هذا الوباء أن النفس البشرية قد تألف كل شيء، وبسرعة غير مُتَوَقَّعةٍ، فَمَن منّا كان يتوقع مثلًا أن المساجد ستُقْفَلُ في كلّ أنحاء الأرض؟ ومَنْ كان يتخيَّلُ أن نرى في عصر التلفزيون صورًا لصحن الكعبة خاليًا تماما[1]؟

(1) شهد التاريخ الإسلامي عشرات الحالات المشابهة لتعطُّلِ موسم الحج وتوقف الصلاة والعمرة في المسجد الحرام، بداية بفتنة القرامطة عام 317 للهجرة، ومرورًا بحروب ومجاعات وأوبئة أخرى، لكن ما شهدناه كان أول حالة إغلاق تُوثَّقُ بالكاميرات.

أحمد دعدوش

» من مواليد 1979م- 1399 هـ.
» يحمل بكالوريوس في الاقتصاد والتخطيط، وأخرى في العقيدة والفلسفة من كلية أصول الدين، ودبلوم دراسات عليا في العلاقات الدولية.
» من أهم مؤلفاته: "ضريبة هوليود"، و"قوة الصورة".
» ساهم في إعداد وإخراج العديد من البرامج والأفلام الوثائقية.
» يعمل في الصحافة السياسية والثقافية منذ 2011.
» المؤسس والمشرف العام على موقع السبيل (http://al-sabeel.net).

مستقبل الخوف

» لماذا نزداد خوفًا كلما ازداد التقدم العلمي؟ ولماذا لا تمنحنا التكنولوجيا الشعور بالأمان؟
» كيف حاصر فيروسٌ واحد العالم كلّه؟ وكيف عرّى وباء كورونا المنظومة الرأسماليّة وهياكل العولمة؟
» هل ما زال هناك فلاسفة يحلمون بالمدينة الفاضلة في هذا العالم؟
» كيف يستثمر الطغاة في غريزة الخوف؟ ولماذا ينجحون دائمًا؟ وهل هم أكثر شعورًا بالأمن منّا؟
» كيف حوّلت الرأسماليّة الخوف إلى تجارة رابحة؟
» » هل ما زالت العولمة مخيفة؟ وهل سنشهد تبدّلًا في أقطاب هذا العالم؟ وأين موقعنا منه؟
» ما دور إبليس في قصة الحياة؟ وما هي خطّته؟ وهل علينا الخوف من كيده؟
» ما موقع الدجال من أحداث العالم؟ ومتى نستعدّ لنقطة التحول الكبرى في مسار التاريخ؟
» هل نعيش اليوم في المراحل الأخيرة من آخر الزمان؟ وما المطلوب منّا لمواجهة الفتن؟
» كيف أصبح الإسلام مصدر الخوف الأول للعالم بدلًا من كونه مصدرًا للطمأنينة؟!
» هل نحن على أعتاب مرحلة "الإرهاب الأبيض الجديد"؟ وهل نشهد أجواء شبيهة بما قبل الحرب العالمية الثانية؟
» متى يتواضع الإنسان؟ ولماذا يصرّ على تجاهل خوفه الأكبر: الموت؟

السبيل

من إصدارات مؤسسة السبيل

www.al-sabeel.net

للتواصل مع المؤلف

ISBN 978-605-7618-58-0

مكتبة الأسرة العربية
اسطنبول
نحو أسرة عربية واعية
ARAP AİLE KÜTÜPHANESİ - İSTANBUL
طباعة ونشر وتوزيع
إصدارات مُختارة للأسرة العربية
UFUK neşriyat
BASIN-YAYIN-DAĞITIM

KORSANI DEĞİL BENİ OKU

www.arabfamilybs.com
+90 212 631 81 09
+90 531 935 71 31
info@arabfamilybs.com